دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التفسير وعلوم القرآن : تفسير سورة العنكبوت
المصدر:	هدي الإسلام
الناشر:	وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	عباس، فضل حسن
المجلد/العدد:	مج 17, ع 3,4
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1973
الشهر:	مايو / ربيع الثانى
الصفحات:	11 - 20
رقم MD:	414143
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم ، تفسير القرآن ، السور والآيات ، سورة العنكبوت
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/414143

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

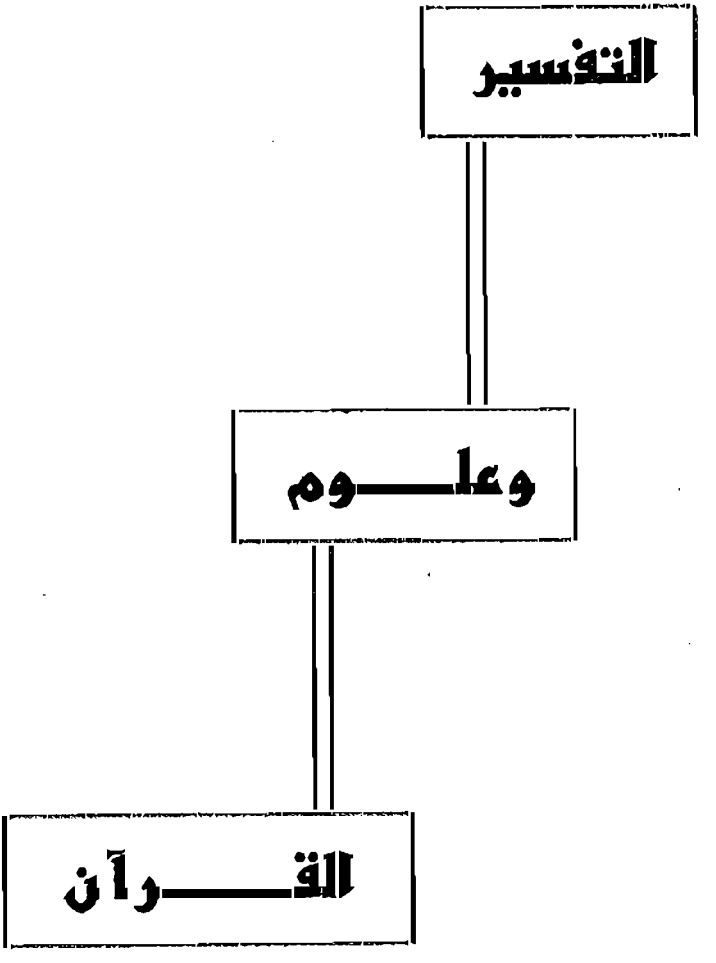
التفسير
وعلـــوم
القـــرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَوَصَّيْنَا الإِنسانَ بِوالِديهِ حُسْناً وإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللهِ وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ العالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافِقِينَ ۝ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ القِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ ۝

« صدق الله العظيم »

آيات هذه السورة كلها دروس تثبيت للمؤمنين وبخاصة الدعاة الى الله. فالمؤمن قد تحصل منه الهفوة ولكن الله تعالى غفور رحيم. وهذا ما اشارت اليه الآية السابقة ولكن حذار من ان يقع المؤمن تحت ضغوط ومؤثرات تفتنه عن دينه وتصرفه عن الحق، وهذا ما اشارت اليه هذه الآية وما بعدها، وانواع هذه المؤثرات يمكن ان نحصرها بامور رئيسية ثلاثة اولاها: عامل الضغط تحت تاثير القرابة والدم او المصادقة

او المصاهرة ، وثانيها عامل التهديد والايذاء ، وثالثها عامل الوعود والاغراءات . والاية التي معنا اشارت الى العامل الاول واقتصرت على الوالدين لانهما صاحبا الحق الاول وصلتهما ينبغي ان تكون اوثق الصلات والاحسان اليهما ينبغي ان يكون في المرتبة الاولى . والتوصية هي الامر مع وعظ ، وقبل الامر الذي يكون فيه خير للمأمور ، ويمكن ان نقول ان التوصية امر فيه تشدد وترغيب . و«**حسناً**» منصوب بفعل مقدر أي اولها حسناً ويكون كلاماً مبتدأ به . ويمكن ان يكون منصوبا بوصينا فيكون الوقف عليه حينذاك ، وعلى كلا التقديرين فان المعنى أن الله امر الانسان امراً فيه وعظ وخير له وهو ان يبر بوالديه ، وقد تقرر هذا في القرآن الكريم لكن هذه الطاعة للوالدين ينبغي ان لا تكون مؤثرة على دينه وعقيدته مهما بذلا من الوسائل ، وهذا ما تدل عليه كلمة «**جاهداك**» أي وان بذلا كل ما في وسعهما وطاقتهما لإخراجك من دينك فتشرك بالله الهاً آخر ليس له وجود وليس لك به مجرد علم فلا تطعهما مهما كانت محاولاتهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً وحذار ان تعقهما بسبب شركهما وأن تقسو عليهما بسبب الكفر وهذا ما يرشد اليه قوله تعالى « **الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون** » أي سأجازي كل واحد بما عمل ، فلا يكن كفر والديك مانعاً لك من حسن البر بهما وسأجازيك على صبرك وعدم افتتانك .

قيل ان الآية نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وقد حلفت امه حمنه بنت ابي سفيان ألا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن دين محمد ﷺ واخبر النبي ﷺ فامر سعداً ببرها ومداراتها . وألان لها سعد القول، فلما رأى تعنتها قال لها يا اماه : والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني . فلما رأت صلابته اكلت وشربت وعلى هذا تكون الآية مكية . والذين يرجحون مدنية الآية يقولون انها نزلت في عياش بن ابي ربيعه المخزومي هاجر مع عمر رضي الله عنه فتبعه ابو جهل والحارث بن هشام أخواه لأمه اسماء بنت مخزومة وكان قد وصل المدينة فقال له ان من دين محمد ان تبر بامك وانها في حزن شديد وفتلا منه في الذروة والغارب(١) فقال له عمر رضي الله عنه انهما يخدعانك فلا تسمع وسأقسم مالي بيني وبينك شطرين ، ولكنه استجاب لهما فقال له عمر رضي

(١) خدعاه ، وبالغا في خديعته .

الله عنه أما وقد عصيتني فهـذه ناقتي خذها فان رأيت مايسوؤك منهما فالحق بنا فهذه الناقة لا يسبقها بعير ابـداً . وفي الطريق احتال عليه ابوجهل فانزله عن الناقة فأوثقاه وجلده كل منهما مائة جلدة وساقاه الى مكة وقالت له امـه ستعذب حتى تكفر بمحمد ﷺ .

وايا كان السبب فالآية باقية الحكم جاءت تنبه المؤمنين حتى لا يقعوا تحت ضغط الصلات والصداقات فيفتتنوا بها .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين » .

الصلاح ضد الفساد وهـو مراتب كثـيرة بعضها أعلى مـن بعض أي لندخلنهم في أعلى مراتب الصالحين وهذه درجة طلبها كثير من انبياء الله ووصف الله بها بعضاً من انبيائه . فمن دعـاء يوسف عليـه السلام « توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » وهذا ماطلبه عليه السلام « وأدخلـني برحمتك في عبادك الصالحين » وقد وصف الله ابراهـيم بقوله « وانه في الاخرة لمن الصالحين » وقيل لندخلنهم في مداخـل الصالحين وهي الجنة ، والأول ارجح . وقد كرر الجزء الاول من هـذه الآية « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » مع تغاير الجزء الثاني في كل من الآيتين لأن الآية الاولى جاءت عقب ذكر الفاتن والمفتون فكان المناسب تكفير السيئات . اما هنا فقـد جاءت بعد بر الوالدين وهو من اعظم المنازل والقربات فكـان المناسب ان تختتم في زمرة الصالحين . والله أعلم نسأل الله ان يفقهنا في أسرار كتابه .

« ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذا اوذي في الله جعـل فتنـة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم او ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » .

هذه الآية الكريمة أشارت الى العامل الثاني من عوامل الفتنة وهو الايذاء . والايذاء في الدين من أشد الفتن التي يسقط بهـا اصحاب النفوس الضعيفة فتنهار أعصابهم ، وتتبدل شخصياتهم وقد يكون هذا الايذاء في النفس او المال والكرامة والعرض ، وذلك كله تتطور اساليبه بتطور العصور فكم من ايذاء يندى له جبين الانسان ، ويستحي الانسان من ذكره ، وأقوياء الايمـان يتعودون هذا الاذى ويتدربون عليه ، فيصبح جزءاً من حياتهم ، اما ضعفاء الايمان فهؤلاء هم الذين تحدثت الآية الكريمة عنهم « ومـن الناس من يقول آمنا بالله » يدعون ذلك بملء ألسنتهم

« فاذا اوذي في الله »أي اذا حصل له الاذى بسبب ايمانه المدعى . فكلمة « في » سببية ، ويظهر أن لها معنى آخر زائداً على السببيةوهو المبالغة في الايذاء ومن هنا رأينا هذا الحرف يكرر في كلام النبي ﷺ مثل قوله « أخفت في الله ، اوذيت في الله ، تحابا في الله » . فان مثل هذا التعبير أبلغ من غيره « **جعل فتنة الناس كعذاب الله** » . هنا تظهر دقة التعبير ، ان كثيراً من الناس يؤذى في الله ، فتخور قواه، من كثرة الايذاء ، لكنه يظل يفرق بين هذا الايذاء وبين عذاب الله ، ويوقن ان عذاب الله اشد من فتنة الناس فيصبر ويحتسب ، اما الصنف الذي حدثنا القرآن عنه فانه يعتبر ايذاء الناس وفتنتهم وعذاب الله شيئاً واحداً. وهذا سر التعبير القرآني البديع « **جعل فتنة الناس كعذاب الله** » . وما ابعد الفرق بينهما ، ففتنة الناس مؤقتة زائلة، وليس عذاب الله كذلك . ثم كيف تجعل فتنة الناس التي تصرف صاحبها عن الايمان كعذاب الله الذي ينبغي ان يصرف صاحبه عن الكفر ؟ ولكن اناساً ممن تأرجح الايمان في قلوبهم، وممن ضعفت دواعيه في نفوسهم يستمرئون العاجلة دائماً، فهم مسترخون مترهلون. اما الذين ذاقوا حلاوة الايمان فهم لا يعدلون بها بديلا ، ولهذا بين الرسول ﷺ بأن الواحد منهم يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار . هذان صنفان من الناس،والعجيب ان الصنف الاول يترصد استغلال الفرص دائماً . فاذا هبت ريح الصبا على المسلمين ، وقويت شوكتهم،ومن الله عليهم بالنصر سارع لينخرط في صفوفهم ، وزاحم ليكون في الصف الاول ، وهذا معنى قوله تعالى « **ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم** » وهذه الفئة من الناس اكثر ضرراً على المسلمين من اعدائهم، لذا وجدنا الرعيل الأول من المسلمين ، يعدهم الرسول الكريم اعداداً يتناسب مع عظم المسؤولية ، وثقل الامانة ، فتهون عليهم الدنيا ، وتصغر في اعينهم المصائب ، حتى ان امراة منهم وقد فقدت اقرب الناس اليها واعزهم عليها تخاطب الرسول ﷺ بان كل مصيبة بعدك تهون . ولكن الله المطلع على ما في القلوب ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يستوي عنده هذان الصنفان من الناس . وهذا معنى قوله تعالى « **أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** »وهذا رد على اولئك المستغلين فان الله مطلع على ما في صدورهم وسيجازيهم ويظهر سرائرهم ، حتى لا

يخفوا على احد . ونلاحظ التأكيد القوي في هذا الرد ، من هذه الباء (بأعلم) التي جاءت في خبر ليس ، ومن تكرار العلم (وليعلمن) وتأكيده. واذا كان ما عندنا ينفد وما عند الله باق واذا اختارنا الله لحمل هذه الامانة فلنثبت امام العواصف كلها « **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز** (١) **وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوي عزيز** » . (٢)

« **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ، وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** » .

هذا هو العامل الثالث من عوامل التأثير على العقيدة وهو عامل الاغراء وقد ذكر القرآن الكريم جزئية من جزئياته كما اكتفى بذكر جزئية في العامل الاول وهي ما يتعلق في الوالدين وهذه طريقة القرآن الكريم في عرضه وتحذيره . والجزئية التي ذكرت هنا هي قول الكافرين للمؤمنين : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم . اي سيروا في طريقنا واسلكوا منهجنا ، ونحن على استعداد ان نحمل الآثام عنكم وهذه القولة المنكرة الكاذبة لا زالت تنطلق من افواه كثيرة . فكم من صاحب معصية ، وفاعل كبيرة يتصيد كثيراً من المسلمين ، يزين لهم ما عنده ، مهوناً عليهم شأن الفضيلة ، وعذاب الله ، ورقابته ، ليوقعهم في ما وقع فيه ، وربما يستعمل مع ذلك اسلوب السخرية هذا الصنف من الناس كما يقول عنه القائل :

يبيحك منه عرضاً لم يصنه ... ليرتع منك في عرض مصون

فلنحذر هؤلاء ولنجعل كل عمل وقول ابتغاء رضوان الله ولنشعره رقابته سبحانه ويرد الله على هؤلاء القائلين ابلغ رد مبكتا لهم « **وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون** » لأن من عدل الله تبارك وتعالى . أن يحاسب كل انسان بما قدمت يداه « **ولا تزر وازرة وزر اخرى** » والناس يعرضون على الله أفراداً لا جماعات « **ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** » .(٣)

وما أكثر المؤكدات في هذا الرد القرآني الحاسم : فالباء في قوله « **وما**

---

١) سورة الحج آية (٢) الحديد آية ٢٥ (٣) مريم ٩٣ ـ ٩٥

هم بحاملين » جاءت مؤكداً لعدم هذا الحمل ، ومن في قوله « **من شيء** » جاءت مؤكداً كذلك . أي وماهم بحاملين من خطاياهم أي شيء مهما كان ضئيلا . اما من في «**من خطاياهم**» فهي بيانية ، والمؤكد الثالث والرابع والخامس في قوله « **وانهم لكاذبون** » وهي ان ، واللام ، والجملة الاسمية . وكل هذه التأكيدات ،ليحذر المؤمنون اغراء هؤلاء ووسوستهم . « **وليحملن اثقالهم** » أي ووالله ليحملن هؤلاء الفاتنون أوزارهم وذنوبهم ، وعبر عنها بالاثقال اشارة لكثرتها وثقلها ، فهم يحملونها بمشقة ، فكيف يريدون ان يحملوا معها أثقال غيرهم . ان هذا لا ينسجم مع المنطق السليم . « **واثقالا مع اثقالهم** » . اي واوزاراً مع اوزارهم. وهنا تساؤل ربما يخطر في النفس ، وهو كيف نفى الله عنهم الحمل في قوله « **وما هم بحاملين** » ثم اثبت لهم ذلك بقوله « **وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم** » والجواب يسير ، ان شاء الله ، وهو ان الذي نفى عنهم اثم الآخرين وخطاياهم ، اذ لا يحاسب انسان عن انسان آخر . اما الحمل الذي اثبت لهم فانما هو بسبب اضلالهم غيرهم وصدهم عن سبيل الله. فهم يحاسبون على أمرين اثنين : ضلالهم اولا ، واضلالهم ثانياً فاذا ضل زيد وعمل المنكر ،اضل عمراً فعمل هذا المنكر ايضاً ، فإن الله لا يحاسب زيداً على منكر عمرو ، وانما يحاسبه على ضلاله اولا واضلاله عمراً ثانياً وقوله تعالى « **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ،ألا ساء ما يزرون**»(١) يوضح ذلك تماماً ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «**من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة لاينقص من اجورهم شيء، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيء** » اخرجه مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي في سننه واحمد في مسنده ولقد ركز القرآن الكريم كثيراً على هذا المعنى . فهؤلاء المفتونون المستضعفون يصيحون من النار يوم القيامة منددين بالذين اضلوهم ، محملينهم نتائج هذا الضلال قائلين « **ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** » (٢) وفي سورة الفرقان « **ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتاه ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا ،**

---

(١) النحل آية ٢٥ (٢) الأعراف آية ٣٨

لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا » (١) وفي سورة الاحزاب « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » (٢)

هذا هو معنى قول الله « وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم » اما اثقالهم فهي بسبب ضلالهم ومعاصيهم واما الاثقال التي مع اثقالهم فهي بسبب اضلالهم غيرهم وصدهم عن سبيل الله وهذا من اهم المباديء في الاسلام التي وصى بها كثيراً وهو مبدأ التواصي بالحق .

انه ينبثق من التكافل والمسؤولية التي تعم الافراد جميعاً وهو ما يرشد اليه قول الله تبارك وتعالى « يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون » (٣) فمع حمل الاثقال الكثيرة فان هناك سؤال تبكيت واذلال « فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون » (٤) وهذا لا ينافي ما جاء في سورة الرحمن في قوله تعالى « فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولا جان » (٥)

فالسؤال الذي اثبته القرآن هو سؤال تبكيت واذلال وإهانة وتشهير ، اما السؤال الذي نفاه القرآن كما في سورة الرحمن فهو سؤال استعلام واستفهام ، والافتراء والاختلاق والكذب الفاحش اي؛ ووالله ليسألن عن افترائهم فتكون « مصدرية او عن الذي يختلقونه وهم يعلمون انه كذب فتكون » اسم موصول وهنا سؤال يرد عند البعض وهو ان هذا السؤال الذي سيسأله هؤلاء انما هو يوم القيامة فما فائدة التنصيص على هذا اليوم هنا . كان من الممكن ان يقال وليسألن عما كانوا يفترون ، فما فائدة قوله تعالى يوم القيامة ، وللإجابة عن هذا السؤال نقول : ان كثيراً من الناس لا يلاقون جزاء اعمالهم في هذه الدنيا ،بل ان العدل المطلق من الصعب ان يحقق في هذه الحياة ، وانما يتحقق يوم القيامة حيث يقول الله فيه « لا ظلم اليوم » فكأن القرآن الكريم يريد بذكره يوم القيامة ان يربط به النفوس من ناحية ليملأها رهبة وان يطمئن المؤمنون من ناحية ثانية بأنهم وان لاقوا عنتاً ومشقة في هذه الحياة فإنها قصيرة مهما بلغت ولا بد ان يأتي اليوم الذي يجازون فيه احساناً ويعاقب فيه المسيء وهو

---

(١) الفرقان ٢٧ ـ ٢٩ (٢) الاحزاب ٦٦ ـ ٦٨ (٣) المائدة ١٠٥
(٤) الحجر ٩٢ ـ ٩٣ (٥) الرحمن آية ٣٩

يوم القيامة . أرأيت الى هـذه الكلمة كيف وقعت في موقعها اللائق بهـا . اعني كلمة « يوم القيامة » ولو انها حذفت لذهب كثير من المعاني النفسية الـتي يريد القرآن الكريم تقريرها .

هذه اهم عوامل الافتتان وهـي عامل الضغط تحت تأثـير الصلات المختلفة وعامل التهديد وعامل الاغـراء والقرآن الكريم اذ يحذرنا مـن هـذه العوامـل لا يكتفي باسلوب التقرير والتحذير والتنفير بل يضرب ؛ لنا الامثلة الكثيرة التي بـدات منذ مسيرة الحياة والتي كان ابطالها اعلام الهدى ودعاة الخـير وهم رسل الله عليهم السلام . وكأن القرآن يقول : لست وحدك ايها المؤمن الذي اوذيت واخفت وليست الامة المسلمة امة محمد عليه وآله الصلاة والسلام ، ليست هـي اول مـن قصد فتنتها بل هناك الانبيـاء الذيـن مستهم البأساء والضراء وزلزلوا واوذوا وكذبوا فصبروا الى ان قطـع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وسنقرأ في هـذه السورة الكريمـة قصص كثير من انبياء الله عليهم السلام وما لاقوة من اقوامهم بادئين بقصة سيدنا نوح عليه السلام .